

**خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ الْقَادِمَةِ (سِعَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ بِأَبِ الْأَمَلِ وَسَبِيلِ النَّجَاةِ) د. مُحَمَّدٌ حِرْزٌ
بتاريخ ٢٩ شَوَّال ١٤٤٧هـ / ١٧ إبريل ٢٠٢٦م**

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَيَسْتُرُ الْعُيُوبَ وَيَكْشِفُ الْكُرُوبَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ، أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ يَأْخُذْ بِأَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاشْكُرُوا اللَّهَ وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، (ذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) [الطَّلَاق: ٥]. عِبَادَ اللَّهِ: ((سِعَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ بِأَبِ الْأَمَلِ وَسَبِيلِ النَّجَاةِ)) عُنْوَانٌ وَرَأْسُ خُطْبَتِنَا

عَنَاصِرُ الْإِقَاءِ:

❖ **أَوَّلًا: لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عِبَادَ اللَّهِ.**

❖ **ثَانِيًا: وَمِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ!؟**

❖ **ثَالِثًا وَأَخِيرًا: الْمُنتَحِرُ قَانِطٌ وَيَأْسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ.**

أَيُّهَا السَّادَةُ: بِدَايَةِ، مَا أَحْوَجَنَا فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ الْمَعْدُودَةِ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُنَا عَنْ: سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِأَبِ الْأَمَلِ وَسَبِيلِ النَّجَاةِ، وَخَاصَّةً وَنَحْنُ نَعِيشُ زَمَانًا قَسَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَقَلَّتْ فِيهِ يَتَابِعُ الرَّحْمَةَ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَخَاصَّةً وَنَحْنُ نَعِيشُ زَمَانًا كَثُرَتْ فِيهِ الْفِتَنُ، وَالشُّبُهَاتُ، وَالشَّهَوَاتُ، وَالغَلَاءُ، وَالْحُزُوبُ، وَالْمَشَاكِلُ، وَالنَّكَبَاتُ، وَالْأَزْمَاتُ؛ مِمَّا جَعَلَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ -إِلَّا مِنْ رَحِمَ اللَّهُ- يُفَكِّرُ فِي الْهُرُوبِ مِنَ الْحَيَاةِ بِالِانْتِحَارِ، حَيْثُ تُطَالِعُنَا الْأَخْبَارُ عَنْ خَالَاتِ انْتِحَارٍ مُتْرَايِدَةٍ لِأَسْبَابٍ وَاهِيَةٍ، يُقَدِّمُ فِيهَا الْإِنْسَانُ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَغِيَابِ الْيَقِينِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَسُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالْبَيَّاسِ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ. فَمَهْمَا اشْتَدَّتِ الْفِتَنُ، وَكَثُرَتِ الذُّنُوبُ، وَضَاقَتِ الصُّدُورُ، اَعْلَمُوا أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا تَقُلْ: أَنَا هَالِكٌ، بَلْ قُلْ: أَنَا رَاجِعٌ. وَلَا تَقُلْ: لَا اسْتِطِيعُ، بَلْ قُلْ: أَبْدَأُ الْآنَ. وَخَاصَّةً وَسِعَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ مَعْنَى يُقَالُ، بَلْ هِيَ حَيَاةٌ تُعَاشُ، وَأَمَلٌ يُحْيِي الْقُلُوبَ، وَطَرِيقٌ وَاضِحٌ لِلنَّجَاةِ. فَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ بِرَحْمَتِهِ لَمْ يَبْأَسْ، وَمَنْ طَرَقَ بَابَهُ فُتِحَ لَهُ، وَمَنْ عَادَ إِلَيْهِ قَبْلَهُ وَغَفَرَ لَهُ. وَخَاصَّةً وَالدُّنْيَا أَحْوَالٌ مُتَقَلِّبَةٌ، لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ وَاحِدٍ، يَتَقَلَّبُ فِيهَا الْإِنْسَانُ بَيْنَ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ، وَصِحَّةٍ وَمَرَضٍ، وَرَخَاءٍ وَشِدَّةٍ،

وَعَنَى وَفَقَّرَ، وَيُسِرُّ وَعَسِرُ، يُكَادِ فِيهَا أَلْوَانًا شَتَّى مِنَ الْأَحْوَالِ، قَالَ تَعَالَى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) [البَلَد: ٤]، فَلَا رَاحَةَ أَبَدِيَّةَ لِلْمَرْءِ فِيهَا، وَلَا تَخْلُو مِنَ الْهُمُومِ وَالْمُتَعَصَّاتِ.

طُبِعَتْ عَلَيَّ كَدْرٌ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا *** صَفَوْا مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ غَيْرَ طِبَاعِهَا *** مَتَطَلَّبُ فِي الْمَاءِ جَذْوَةٌ تَارِ

❖ **أَوْلَا: لَا تَفْتَنُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عِبَادَ اللَّهِ.**

أَيُّهَا السَّادَةُ الْأَخْيَارُ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَمْلَأُ الْقُلُوبَ طُمَأْنِينَةً، وَيَبْعَثُ فِي النُّفُوسِ حَيَاةً بَعْدَ يَأْسٍ، هُوَ الْإِيمَانُ بِسِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ تِلْكَ الرَّحْمَةُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يُعْجِزُهَا ذَنْبٌ، وَلَا يَخْجُبُهَا عَاصٍ إِذَا أَقْبَلَ بِقَلْبٍ صَادِقٍ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [الْأَعْرَافِ: ١٥٦] فَهِيَ رَحْمَةٌ عَامَّةٌ شَامِلَةٌ، وَسِعَتْ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ؛ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَخَصَّ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) [الزُّمَرِ: ٥٣] فَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ آيَةٍ تُفْتَحُ بِهَا أَبْوَابُ الرَّجَاءِ لِكُلِّ مُذْنِبٍ، وَتُغْلَقُ بِهَا أَبْوَابُ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ. فَمَا أَرْحَمَ اللَّهُ وَمَا أَرْأَفَهُ! وَمَا أَصْبَرَهُ وَمَا أَحْلَمَهُ! هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، يَا الْمُؤْمِنِينَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ، مَا خَلَقْنَا لِيُعَذِّبْنَا، وَمَا أَوْجَدْنَا لِيُشْفِقَنَا، وَمَا كَلَّفْنَا لِيُشَقَّ عَلَيْنَا، أَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ؛ وَذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ إِلَّا يُعَذِّبُهُمْ، (طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) [طه: ١-٣]. أَنْزَلَ الْبَلَاءَ وَأَنْزَلَ النِّعَمَاءَ؛ يُنْعِمُ عَلَى قَوْمٍ لِيَبْتَلِيَهُمْ بِالنِّعَمِ: هَلْ يَشْكُرُونَ أَمْ يَكْفُرُونَ، وَيُرْسِلُ الْبَلَاءَ عَلَى أَقْوَامٍ لِيَبْتَلِيَ إِيْمَانَهُمْ، وَيَخْتَبِرَ صِدْقَهُمْ وَيَقِينَهُمْ، لَا لِيُعَذِّبَهُمْ وَيُضَيِّقَ عَلَيْهِمْ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ابْتَلَاهُ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأُمْتَلُ قَالِ الْأُمْتَلُ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي مَعَ الْبَلَاءِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ... يَأْتِي مَعَهُ الْأَجُورُ وَالذَّرَجَاتُ، وَالرِّضَا وَالرَّحْمَاتُ. ((إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ)) التِّرْمِذِيُّ.

قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيًّا، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ تَدْيِهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَحَدْتَهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَثَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةٌ وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟)) قُلْنَا:

لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: ((لَلَّهِ أَرْحَمُ يَعْبَادِهِ مِنْ هَذِهِ يَوْلِدِهَا))؛ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَلَمَّا دَخَلَ حَمَّادُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَهُوَ يَحْتَضِرُ، فَقَالَ: أَبَشِّرْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّكَ مُقْبِلٌ عَلَيَّ مِنْ كُنْتُ تَرْجُوهُ. فَقَالَ سُفْيَانُ: يَا أَبَا سَلَمَةَ، أَتَرَى اللَّهَ يَغْفِرُ لِمِثْلِي؟ أَتُظَنُّ أَنَّ مِثْلِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ؟ فَقَالَ حَمَّادُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ خَيْرْتُ بَيْنَ مُحَاسَبَةِ رَبِّي إِيَّايَ وَبَيْنَ مُحَاسَبَةِ أَبِييَّ، لَأَخْتَرْتُ مُحَاسَبَةَ اللَّهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِي مِنْ أَبِييَّ. فَمَنْ أَرْحَمُ مِنَ اللَّهِ؟! قَالَ اللَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. **وَكَيفَ لَا؟!** وَالرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ اسْمَانِ مِنَ أَسْمَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالرَّافِقُ وَالرَّحْمَةُ مِنَ نُعُوتِ جَمَالِهِ، تَنْزَلُ بِهَا النِّفَحَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ، وَالرَّحْمَاتُ الْإِلَهِيَّةُ، فَتَجِدُ فِي كُلِّ تَقْدِيرٍ تَيْسِيرًا، وَمَعَ كُلِّ قَضَاءٍ رَحْمَةً، وَمَعَ كُلِّ بَلَاءٍ حِكْمَةً؛ فَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَخَذَ مِنْكَ فَقَدْ أَبْقَى، وَإِنْ مَتَعَ فَلَطَمًا أَعْطَى، وَإِنْ ابْتَلَاكَ فَكَثِيرًا مَا عَافَاكَ، وَإِنْ أَحَزَكَ يَوْمًا فَقَدْ أَفْرَحَكَ آيَامًا وَأَعْوَامًا، قَالَ اللَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وَرَحْمَةُ اللَّهِ أَوْسَعُ بِنَا، وَعَافِيَّتُهُ أَنْفَعُ لَنَا، وَلَوْ أَخَذْنَا يَدُنُونَا لَأَهْلَكْنَا، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَنَا، وَلِكِنَّهُ يَعْبَادِهِ رِءُوفٌ رَحِيمٌ. فَلَوْ فَتَحَ سُبْحَانَهُ بَابَ رَحْمَتِهِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، لَوَجَدَهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَفِي كُلِّ خَالٍ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ؛ فَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ. كَمَا أَنَّهُ لَا مُمْسِكَ لِرَحْمَتِهِ، قَالَ رَبُّنَا: (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُزِيلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [قَاطِر: ٣].

وَكَيفَ لَا؟! وَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الرَّحْمَنِ، كَتَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ، فَوَسِعَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَعَمَّ بِهَا كُلَّ حَيٍّ؛ فَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. قَالَ رَبُّنَا: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الْأَنْعَام: ٥٤]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَوْجَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَإِحْسَانًا وَامْتِنَانًا). وَفِي مَشْهَدٍ زَهَبٍ مِنْ أَحْدَاثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عَبَّرَ اللَّهُ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ؛ لِيَدُلَّ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ، فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) [طه: ١٠٨]. فَسُبْحَانَ مَنْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

وَكَيفَ لَا؟! وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَخْبَرَنَا أَنَّ رَحْمَتَهُ تَسْبِقُ غَضَبَهُ، وَأَنَّ لَهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ سَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ فِي الْأَرْضِ، وَأَخَّرَ الْبَاقِيَّ لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فِيهَا يَتَغَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ،

وَبِهَا تَغِطُّ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تَسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). فَكُلُّ مَا تَرَى مِنْ رَحْمَةِ الْمَخْلُوقَاتِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، عَلَى امْتِدَادِ الزَّمَانِ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ الْمَعْمُورَةَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، مَا هِيَ إِلَّا رَحْمَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ مِائَةِ رَحْمَةٍ ادَّخَرَهَا اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَجَزِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَوْسَعُ صِفَاتِهِ جَلٌّ وَعَلَاءٌ: رَحْمَتُهُ، وَأَوْسَعُ الْمَخْلُوقَاتِ: عَرْشُهُ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ يَوْمَ اسْتَوَاهُ عَلَيْهِ: كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ». **وَكَيْفَ لَا؟!**

وَإِنَّ الْيَأْسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَهَالِكِ؛ لِأَنَّهُ سُوءٌ ظَنَّ بِاللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ. {وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: ٨٧] وَلْيَعْلَمْ الْعَبْدُ أَنَّ الْيَأْسَ وَالْقُنُوطَ مِنْ كِتَابِ الدُّنُوبِ وَالْخَطَايَا؛ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((الْكِبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ))؛ [أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ]. فَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ سُوءٌ ظَنَّ بِاللَّهِ جَلٌّ فِي عِلَّاهُ، وَغَفْلَةٌ عَنِ سَعَةِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى لَمْ يَجْعَلْ لِلْيَأْسِ مَجَالًا فِي قَلْبِهِ، بَلْ يَسِيرُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ.

فَالْمَقْصُودُ مِنْ بَيَانِ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ: تَذْكِيرُ النَّاسِ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ، وَعَرْضُ الْإِسْلَامِ بِمَنْطِقِ الْحُبِّ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ؛ كَمَا عَرَضَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: (اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥]؛ وَكَمَا بَيَّنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَدْيِهِ الْعَظِيمِ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا مَا اللَّهُ يَسَّرَهَا *** أَتَتْكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْجُو وَتَحْتَسِبُ
وَكُلُّ مَا لَمْ يَقْدِرْهُ إِلَهٌ فَمَا *** يُفِيدُ جِرْصُ الْفَتَى فِيهِ وَلَا النَّصَبُ
ثِقُ بِالْإِلَهِ وَلَا تَزَكُنْ إِلَى أَحَدٍ *** قَالَهُ أَكْرَمُ مَنْ يُرْجَى وَيُرْتَقَبُ

❖ ثَانِيًا: وَمِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟!

أَيُّهَا السَّادَةُ الْأَخْيَارُ: الرَّحْمَةُ كَتَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ، وَاخْتَصَّ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، هِيَ مَنْجَاةُ الْخَائِفِينَ، وَرَجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، بَشَّرَ اللَّهُ بِهَا الْمُتَّقِينَ، وَظَمَانَ بِهَا النَّائِبِينَ، وَتَوَدَّدَ بِهَا إِلَى الْعُصَاةِ وَالْمُذْنِبِينَ، وَجَعَلَهَا شِعَارًا لِلْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ. **وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَبَبُ كُلِّ نِعْمٍ**، فَمَا التَّوْفِيقُ وَالْهُدَايَةُ وَالنَّجَاحُ إِلَّا أَثَرٌ مِنْ أَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادِهِ. قَالَ تَعَالَى: (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) [النور: ٢١]. وَقَالَ ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَدْخَلَ أَحَدَكُمْ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ). فَكُلُّ مَا يَكُونُ مِنْ هِدَايَةٍ وَتَثْبِيتٍ وَصَلَاحٍ، فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، لَا يَحُولُ الْعَبْدُ وَلَا يَقْوِيهِ؛ فَالْعَبْدُ يَفْتَقِرُ إِلَى رَبِّهِ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَنَفْسٍ، وَرَحْمَتُهُ هِيَ مَلَاذُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَلُ النَّائِبِينَ.

وَمَظَاهِرُ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحْصِيهَا لِسَانٌ فَصِيحٌ، وَلَا يَعُدُّهَا قَلَمٌ أَدِيبٌ، وَلَا تَغِيبُ عَنْ نَظَرِ كُلِّ أَرِيْبٍ لَيْبِيبٍ. قَالَ جَلَّ وَعَلَا (فَانظُرْ إِلَى أَثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) [الزُّوم: ٥٠]. وَيُبْصِرُهَا الْعَبْدُ فِي نَفْسِهِ؛ قَالَ جَلَّ وَعَلَا (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذَّارِيَاتِ: ٣١]. وَفِي الْكُونِ مِنْ حَوْلِهِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [الْقَصَصِ: ٧٣]. فَسُبْحَانَ مَنْ تَجَلَّتْ رَحْمَتُهُ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ، وَعَمَّ نِعْمُهُ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ فِي كُلِّ حَالٍ وَأَوَانٍ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ التَّشْرِيْعَ الْإِلَهِيَّ جَاءَ حَازِمًا فِي صِيَانَةِ النَّفْسِ، رَفِيقًا فِي رِعَايَتِهَا؛ فَتَهَى عَنْ قَتْلِهَا، وَرَجَرَ عَنْ إِهَاتَتِهَا وَإِيذَائِهَا، وَحَرَّمَ تَرْوِيْعَهَا، بَلْ جَعَلَ إِحْيَاءَهَا سَبَبًا لِلْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَعَدَّ مَنْ أَحْيَا نَفْسًا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا. وَعَلَّمَنَا سُبْحَانَهُ أَنْ نَحْيَا حَيَاةً كَرِيمَةً، وَأَنْ نَحْفَظَ أَنْفُسَنَا مِنْ مَوَارِدِ الْهَلَاكِ، وَأَنْ نُدَاوِيَ جِرَاحَهَا قَبْلَ أَنْ تَسْتَفْجَلَ، وَأَنْ نُحِيطَهَا بِالْأَمَلِ حِينَ تَضِيقُ بِهَا السُّبُلُ. **قَالِ النَّفْسِ** مَكَانَهُ عَظِيمَةً فِي الدِّينِ، وَقُدْسِيَّةً مُكْرَمَةً فِي كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَنْزَلَةً رَفِيعَةً فِي شَرِيعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَالْمُحَاقَظَةُ عَلَى النَّفْسِ مَقْصِدٌ مِنْ مَقَاصِدِ الدِّينِ الْعَظِيمَةِ، وَضُرُورَةٌ مِنْ ضُرُورِيَّاتِهِ الْمُهْمَمَةِ، وَالْإِعْتِدَاءُ عَلَيْهَا بَعِيرٌ إِذْ خَالِقُهَا وَمَالِكُهَا -سُبْحَانَهُ- كَبِيرَةٌ خَطِيرَةٌ، وَجَرِيمَةٌ نَكِيرَةٌ. **فَتَنْفُسُكَ لَيْسَتْ مُلْكًا** لَكَ تَتَصَرَّفُ بِهَا كَمَا تَشَاءُ، بَلْ هِيَ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ، وَعَارِيَةٌ لَدَيْكَ، وَتَقَعُ مَسْئُولِيَّةُ الْمُحَاقَظَةِ عَلَيْهَا عَلَى

عَاتِقَكَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُؤْذِيَهَا، أَوْ تُعَرِّضَهَا لِمَا يَكُونُ سَبَبًا فِي الْقَضَاءِ عَلَيْهَا، أَوْ تَسْتَعْجِلَ مَوْتَهَا وَإِزْهَاقَهَا: قَالَ جَلَّ وَعَلَا: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النِّسَاءِ: ٢٩]. **وَتَفْسُكَ لَيْسَتْ مِلْكًَا لَكَ**، قَأْنْت لَمْ تَخْلُقْهَا، وَلَا عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ، وَلَا خَلِيَّةً مِنْ خَلَايَاكَ، بَلْ نَفْسُكَ أَمَانَةٌ وَوَدِيعَةٌ اسْتَوْدَعَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تُفَرِّطَ فِيهَا بِخَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، قَالَ الْإِنْسَانُ بُنْيَانُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، مَلْعُونٌ مَنْ هَدَمَهُ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا ((وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)) [البقرة: ١٩٥]؛ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»؛ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: «خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَجِلًّا لَهُ مَعِ عِلْمِهِ بِالتَّحْرِيمِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ يَعْنِي طُولَ الْمُدَّةِ وَالْإِقَامَةَ الَّتِي يُخَلَّدُ فِيهَا قَاتِلُ نَفْسِهِ إِنْ أُنْفِذَ عَلَيْهِ الْوَعِيدُ، وَلَا يَعْنِي خُلُودَ الدَّوَامِ؛ إِذْ قَتَلُ النَّفْسِ - دُونَ اسْتِحْلَالِ لَذَلِكَ - هُوَ ذَنْبٌ وَكَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَلَيْسَ كُفْرًا مُخْرَجًا مِنَ الْمِلَّةِ. وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا، عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»؛ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزَعَهُ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادِرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»؛ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الرَّحْمَةَ أَصْلًا فِي التَّشْرِيْعِ، وَالْأَمَلَ مَعْنَى يَسْرِي فِي أَحْكَامِهِ، وَجَعَلَ فِي دِينِهِ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَطُمَأْنِينَةَ النَّفُوسِ.

يَا رَبِّ إِنْ عَظَمْتَ ذُنُوبِي كَثْرَةً**** فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
 إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ**** فَيَمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ؟
 أَدْعُوكَ رَبِّي كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا**** فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ؟
 مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَاءُ**** وَجَمِيلُ عَفْوِكَ، ثُمَّ إِلَيَّ مُسْلِمٌ
 أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ،
 فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ. **الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ**

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَمْدَ إِلَّا لَهُ، وَيَسْمِ اللّٰهَ وَلَا يُسْتَعَانُ إِلَّا بِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ.

❖ **ثَالِثًا وَأَخِيرًا: الْمُنْتَحِرُ قَانِطٌ وَيَأْسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ، وَالْعِيَاذُ بِاللّٰهِ.**

أَيُّهَا السَّادَةُ الْأَخْيَارُ: **الْإِنْتِحَارُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْإِنْتِحَارُ؟** الْإِنْتِحَارُ لَيْسَ عِلَاجًا لِلْمُشْكِلَاتِ، وَلَيْسَ حَلًّا لِلْمُعْضِلَاتِ، وَلَيْسَ دَوَاءً لِمَا يَجِلُّ بِنَا مِنْ النَّكَبَاتِ، بَلْ هُوَ دَاءٌ يُسَبِّبُ الْإِنْتِكَاسَةَ وَالْحِرْمَانَ مِنَ الْجَنَانِ، وَيَجْلِبُ سَخَطَ الرَّبِّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَيَتَسَبَّبُ لِأَهْلِهِ بِالْأَذَى وَالضَّرَرِ؛ وَيُوجِبُ الْعُقُوبَةَ الشَّدِيدَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَالْمُنْتَحِرُ -أَيُّهَا الْأَخْيَارُ- لَيْسَ كَافِرًا مَا لَمْ يَسْتَجِلَّ الْجَرِيمَةَ، وَلَا كَافِرًا وَلَا مُرْتَدًّا، وَلَا خَارِجًا مِنَ الْمِلَّةِ، وَلَا مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ، وَلَكِنَّ التَّعَاطُفَ مَعَهُ وَالتَّبَرُّيرَ لَهُ وَالْعُذْرَ لِهَذِهِ الْجَرِيمَةِ الْبَشِيعَةَ تَعَاطُفٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ؛ لِأَنَّهُ يُسَهِّلُ الْجُزْمَ عَلَى النَّاسِ، وَالتَّبَرُّيرُ يَجْعَلُ لِغَيْرِهِ تَفْكِيرًا فِي الْهَرَبِ مِنَ الْأَزْمَاتِ وَالنَّكَبَاتِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ وَإِلَّا فَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ).

الْإِنْتِحَارُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْإِنْتِحَارُ؟ جَرِيمَةٌ شَوْمٌ عَلَى صَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَامَةٌ عَلَى سُوءِ الْخَاتِمَةِ -وَالْعِيَاذُ بِاللّٰهِ-؛ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعِثَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ».

الْإِنْتِحَارُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْإِنْتِحَارُ؟ اتِّبَاعُ لِحُطُوتِ الشَّيْطَانِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا مُخَدِّرًا عِبَادَهُ مِنْ اتِّبَاعِ حُطُوتِ الشَّيْطَانِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا حُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ حُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ {النور: ٢١}، فَالشَّيْطَانُ حَرِيصٌ أَشَدَّ الْحَرِيصِ، بَاذِلٌ كُلَّ الْجُهْدِ فِي إِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ، وَصَدِّهِ عَنِ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَإِلْقَاءِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ فِي التَّهْلُكَةِ، ثُمَّ يَتَّبِرًا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ قَاعِدٌ لِابْنِ آدَمَ صَدًّا وَإِغْوَاءً وَتَرْبِيئًا لِلْبَاطِلِ.

الْإِنْتِحَارُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْإِنْتِحَارُ؟ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَقِلَّةِ الْوَازِعِ الدِّينِيِّ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ، وَبُعْدِهِ عَنِ مَنَهِجِ اللّٰهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَبَةِ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ، وَسُوءِ الظَّنِّ بِاللّٰهِ -تَعَالَى-، فَضَعْفُ الْوَازِعِ الدِّينِيِّ سَبَبٌ رَئِيسِيٌّ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَيَتَفَرَّغُ عَنْهُ الْبُعْدُ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَالْإِنْعِمَاسُ فِي الشَّهَوَاتِ، فَالْحَيَاةُ الْمَادِّيَّةُ الْمُجَرَّدَةُ عَنِ الْإِيمَانِ تُورِثُ الْوَحْشَةَ فِي الْقَلْبِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى))

[طه: ١٢٤]، فَمِنْ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكَ حَيَاةُ الْاضْطِرَابِ وَالْقَلْقُ وَالضِّيْقُ وَالْاِكْتِنَابُ وَالْأَمْرَاضُ النَّفْسِيَّةُ الْمُخْتَلِفَةُ. وَ الصَّدَمَاتُ النَّفْسِيَّةُ الَّتِي يُوَاجِهَهَا الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ، فَبَعْضُ النَّاسِ لَدَيْهِ طُمُوْحٌ عَالٍ يُرِيدُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يَنْصَدِمُ بِالْوَاقِعِ فَيَفْشَلُ فِي تَحْقِيقِ مَرَادِهِ، فَيُوَيِّزُ ذَلِكَ فِي نَفْسِيَّتِهِ، فَتَسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْوَسَاوِسُ، وَيَصِيرُ أَسِيرًا لِلْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ، مِمَّا يَجْعَلُهُ مُهَيِّبًا لِمَثَلِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الشَّيْطَانِيَّةِ وَنَسِيَ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)، وَنَسِيَ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

وَلَزِبَ نَارِلَةٌ يَضِيقُ لَهَا الْقَتَى *** ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا *** فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ
وَعِلَاجُ الْإِنْتِحَازِ كَثِيرَةٌ وَعَدِيدَةٌ، وَمِنْهُ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ وَلَا الْحَصْرِ:
تَقْوِيَةُ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَخَاصَّةً الْإِيمَانُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ؛ فَهُوَ
رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، فَكُلُّ مَا يُكَابِدُهُ الْمُؤْمِنُ فِي حَيَاتِهِ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ،
إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، فَلْيَكُنْ مُتَنَقِّلًا بَيْنَ مَقَامِي الْحَمْدِ وَالصَّبْرِ؛ الْحَمْدُ
عَلَى الرَّخَاءِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْبَلَاءِ؛ (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا يَأْذُنَ اللَّهُ
وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) [التَّغَابُنُ: ١١]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي
الْإِيمَانِ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ
بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ..» **وَمِنْ الْعِلَاجِ**: الْإِزْدِيَادُ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدُ عَنِ
الْمُنْكَرَاتِ؛ فَإِنَّ الطَّاعَةَ تَشْرُخُ الْقَلْبَ، وَالْمَعْصِيَةَ تُظْلِمُهُ، وَلَا عِلَاجَ
لِهُمُومِكَ إِلَّا بِاللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى-، فَإِنْ صَدَقْتَ فِي تَوَجُّهِكَ
وَجَدْتَ أَثَرَ ذَلِكَ سَعَادَةً وَرَاحَةً؛ (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ
أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرَّعْدُ: ٢٨].. **وَمِنْ الْعِلَاجِ**: التَّحَلِّيُ بِالصَّبْرِ؛
فَلَيْسَ كُلُّ مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ شَوْكَةٍ يَهْرَعُ إِلَى إِزْهَاقِ رُوحِهِ؛ قَالِ الدُّنْيَا
دَارُ اخْتِبَارٍ وَابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ، قَالَ تَعَالَى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ) [الْمَلِكُ: ٢]، وَلَقَدْ أُوذِيَ
الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَعَاشُوا فِي ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ حَتَّى شَدُّوا عَلَى
الْحِجَارَةِ عَلَى بُطُونِهِمْ، وَمَا صَرَفَهُمْ عَنِ دِينِهِمْ شَيْءٌ؛ وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنُ
أَنَّ حَالَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ فِي سَرَّائِهِ وَضَرَّائِهِ، فَهُوَ إِمَّا صَابِرٌ وَإِمَّا شَاكِرٌ؛ فَقَدْ
جَمَعَ الْإِيمَانُ بِنَصْفَيْهِ الصَّبْرَ وَالشُّكْرَ؛ فَعَنْ صَهْبِيبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا
لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ
فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (صحيح مسلم). **وَمِنْ الْعِلَاجِ**: أَنْ يُوقِنَ بَأَنَّ الْإِبْتِلَاءَ يُكْفِّرُ

السَّيِّئَاتِ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ؛ لِمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَدْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» [أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ]،

فِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ يَرْبِّكَ وَيَرْسُولِكَ وَيَقْرَأَنِكَ، يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ يَلْقَاءُ اللَّهَ وَيَالْجَنَّةَ وَيَالنَّارَ، يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ يَقُولُ اللَّهُ: (وَأَتَّفُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [البقرة: 281].
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، أَيُّهَا الشَّابُّ الْمُؤْمِنُ، أَيُّهَا الْفَتَاةُ الْمُؤْمِنَةُ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، أَصْغَ بِقَلْبِكَ وَعَقْلِكَ لِمَا سَأَقُولُهُ لَكَ: تَذَكَّرْ، أَنْتَ مُؤْمِنٌ، قَبْدَلْ أَنْ يَسْتَجِرَّكَ الشَّيْطَانُ إِلَى حَبْلِ تَنْصِبُهُ لِنَفْسِكَ فَتَشْتَقُ بِهِ نَفْسَكَ، اظْلُبْ مِنَ الرَّحْمَنِ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى الْحَبْلِ الْمَتِينِ؛ حَبْلِ اللَّهِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

تَذَكَّرْ، أَنْتَ مُؤْمِنٌ، فَإِنْ تَكَالَبَتْ عَلَيْكَ هُمُومُ الْحَيَاةِ وَعَمُومُهَا وَمَشَاكِلُهَا، فَخُذْ بِالْأَسْبَابِ لِمُوَاجَهَتِهَا، وَتَذَكَّرْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْقَوِيَّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَعَلَيْكَ بِالْهَدْيِ النَّبَوِيِّ: «اللَّهُمَّ إِيَّيْ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ»، وَعَلَيْكَ بِدُعَاءِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِيَّيْ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.»

تَذَكَّرْ، أَنْتَ مُؤْمِنٌ، فَلَا تَأْذَنْ لِلَاكْتِنَابِ وَالْقَلْقِ سَبِيلًا إِلَيْكَ بِسَبَبِ التَّفْكِيرِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَوْ الْمَاضِي، فَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِفَقْدِ الْأَحِبَّةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَلَا يَخْتَلِقُ صَدْرُكَ لِيَجْرِكَ إِلَى حَبْلِ الْإِعْدَامِ وَمَسَدِّسِ النَّارِ وَحُبُوبِ الْمَوْتِ، فَتَقْتُلَ نَفْسَكَ، فَتَلْقَى اللَّهَ غَضَبَانَ عَلَيْكَ. تَذَكَّرْ، أَنْتَ مُؤْمِنٌ، فَلَا تَخْتَرْ طَرِيقَ الْإِنْتِخَارِ يَأْسًا مِنَ الْمَغْفِرَةِ أَوْ اسْتِعْظَامًا لِذُنُوبِكَ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَفْتَنُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا.

تَذَكَّرْ، قَوْلَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ((إِذَا تَخَلَّى النَّاسُ عَنْكَ فِي كَرِيكَ قَاعَلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَكَ)).

يَا شَاكِيًا هَمَّ الْحَيَاةِ وَضَيْقَهَا**** أَبْشِرْ بِخَيْرِ قَرْبِكَ قَدْ أَبَانَ الْمَنْهَجَ مَنْ يَتَّقِ الرَّحْمَنَ جَلَّ جَلَالُهُ***** يَجْعَلُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا. حَفِظَ اللَّهُ مِصْرَ مَنْ كَيْدَ الْكَائِدِينَ، وَشَرَّ الْفَاسِدِينَ، وَحَقْدَ الْحَاقِدِينَ، وَمَكْرَ الْمَاكِرِينَ، وَاعْتِدَاءَ الْمُعْتَدِينَ، وَإِرْجَافَ الْمُزْجِفِينَ، وَخِيَانَةَ الْخَائِنِينَ.

د/ مُحَمَّدٌ جَزُّ

إِمَامُ يَوْمَانَةِ الْأَوْقَافِ